لماذا رفع ضمير الغائب في الآية 10 من سورة الفتح؟

قال تعالى {ومن أوفى بما عاهد عليه’الله } سورة الفتح، وقال {وما أنسانيه’ إلا الشيطان أن أذكره} سورة الكهف، لماذا في قراءة حفص الهاء في {عليه’} و {أنسانيه’} مضمومة ؟

الجواب :

قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الفَتْحِ: (وَمَنْ أَوْفَي بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ) بِضَمِّ الهاء، فيه قولان للعلماء :

القول الأول : أنه استثناء من الأصل؛ لأن اسم الجلالة وهو “الله” إذا سُبق بمجرور أو مكسور كان النطق به مرققًا وليْس مفخَّمًا كَمَا هُو الحَال فيما إذا كان قبْله فتح أو ضم.

وفي مقام العهد مع الله الذي يَقْتضي إظْهار قوة الله وعظمته في النطق بأسمائه

كان ضمُّ الضمير في "عليه" ليكون النطق بلفظ الجلالة مفخَّمًا لا مرققاً" وللتأكيد على ذلك العهد والميثاق، فالعهد والميثاق يجب أن يُهتمّ به وهو بين الناس بعضهم بعض ... فما بالك والعهد والميثاق مع الله سبحانه وتعالى.

والأمر الثاني أن الضمة هي أثقل الحركات بالإتفاق، وهذا العهد هو أثقل العهود؛ لأنه العهد على الموت؛ فجاء بأثقل الحركات مع أثقل العهود.

ويقول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: سميت هذه الهاء (بهاء الرفعة) لأن الآية نزلت ببيعة الرضوان التي بايع الصحابة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية وسميت ببيعة الرضوان لقوله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) إنه جو تشريف وتكريم من الله الكريم للصحابة السعداء المبايعين، وبما أن الجو جو رفعة فكأن(الرفعة) أصابت (الهاء) في (عليه) ولأن الكسرة لا تناسب هذا الجو تحولت إلى ضمة والضمة مناسبة للرفعة ولهذا أطلقنا عليها (هاء الرفعة) ولأن الوفاء بالبيعة دليل على صدق المبايع وعلو همته ورفعة نفسه وسمو خلقه ، ولولا ذلك ما وفى ولهذا جاءت مضمومة، ولان الوفاء بالبيعة يكسب المبايع رفعة وسموا وعلوا وإشراقا في الدنيا والاخرة؛ فالضمة والرفعة جاءت للهاء من الجو الذي تصفه والنتيجة التي تقررها (فانعكس الجو على حركة الهاء)

وسبب الضم في الآية الثانية { وما أنسانيه'...} لأن نسيان الحوت بالنسبة لهما في رحلتهما من أثقل الأمور وأصعبها فلو لم يجد الحوت لتعطلت الرحلة..

القول الثاني : الهاء في عليه من قول الله تعالى: [بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ

أَجْراً عَظِيماً](الفتح: 10)عليهُ بضم الهاء هي لغة قريش وكذلك يقولون فيهُ أما سائر العرب فيقولون عليهِ وفيهِ وإليهِ وبهِ.

والسبب في هذا الاختلاف هو أن أصل هذه الهاء هو الضمير المنفصل (هو)، فهى في الأصل مضمومة نحو فوكزه وله ... ولكنها إذا جاورت الكسرة أو الياء الساكنة فإنها تكسر مجانسة لهما ، فكسرها جمهور القراء مراعاة لذلك، وضمها حفص مراعاة لأصلها، ومثلها في هذا مثل الهاء في قوله تعالى: [وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ](الكهف: 63)